السيد سامي خضرة

قصة العبد الصالح

مع الغناء والموسيقى

دار الهادي



قصة العبدِ الصالح

مع الغناء والموسيقى

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

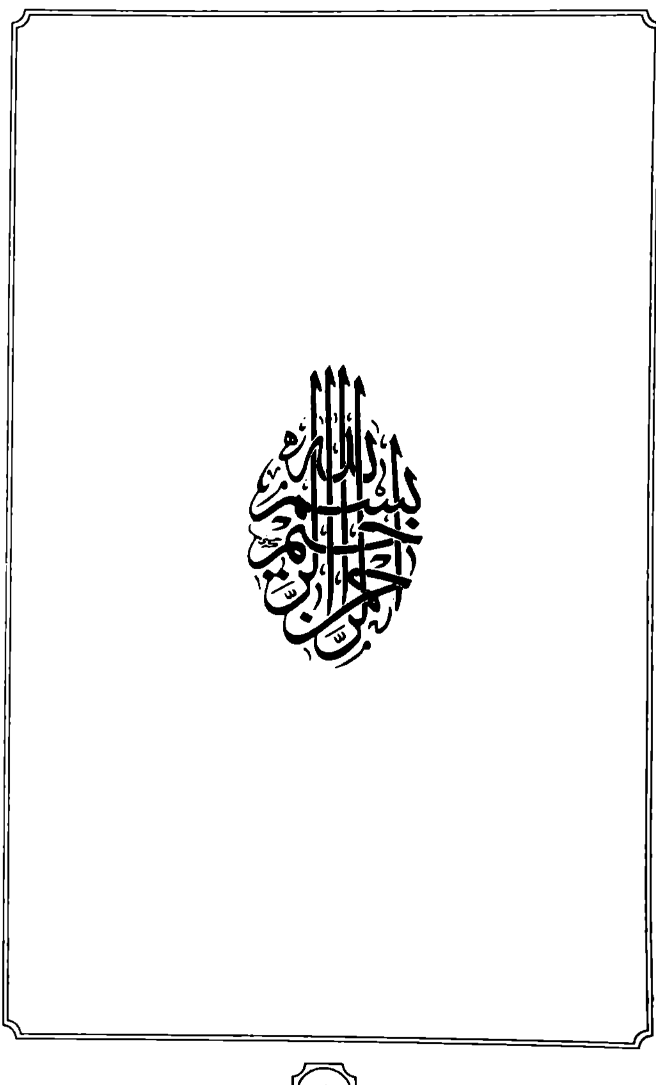
قصة العبدِ الصالح

مع الغناء والموسيقى

السيد سامي خضرة



للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

خيال من عالم الحقيقة!

أردتها قصة «خيالية» وإنْ كانت في الحقيقة واقعية، لأنَّنا بِتْنا في زمن تُسْتنكر فيه الحقائق، ويسود فقه «الواقع»، وتنتشر فيه إرهاصات آخر الزَّمان، التي لو استحضرناها لَحَذِرْناها..... في هذا الزمان، حيثُ تُسْتملح الأوهام.

فلا تستغرب يا أخي:

أَلَمْ يُحدِّثْنا التاريخ عن ذاك الذي فرَّ بإيمانه،

محافظاً عليه، وتلبَّس لباس «المجنون» وهو من حكماء عصره؟!

* * *

أخي الحبيب،

سُنن الحياة لا زالت مستمرة

مَنْ يسأل ربَّه الثبات

السيد سامي خضرة

كُتبت في ٥ جمادى الأولى ١٤٢١هـ

ونُشرت بعد ثلاث سنوات في جمادى الأولى ١٤٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

حدَّثني علمٌ من الأعلام، رأيتُه في «المنام»، في قريب الزمان، عن قائد للأنام... حدَّثني عن تذمُّره، من تحميل بعض الأناشيد الإسلامية ما لا يُحتمل من الموسيقى، والتشبُّهِ بالمغنين في مجتمع الفاسقين.

ونبَّهني العالم الجليل إلى رأي العبد الصالح في عدم جواز ما «كان اللَّحن فيه غناء».

فأصبح «الغناء» الشرعي جائزاً، بل شائعاً، وانتشرت الموسيقى بأكثرية أنواعها، مع أنَّ مصاديق الجائز منها قليلٌ وبشروط معيَّنة...

ووقعت الطامة الكبرى في المضمون الذي أصبح فارغ المعنى، يعتمد السَّجع، وباللهجة العامية، وغير هادف.

ورأيت فيما يرى النائم العبد الصالح، وكأنّه يقول:

أين الأناشيد التي تتناول العقائد الحقَّة كالتوحيد والنّبوة..... ومفاهيم الإسلام والآخرة والزهد والجهاد وحكم الإسلام وبرِّ الوالدين؟!.

* * *

وتابع العالم الجليل يقول:

النَّفس البشرية تميل لِمَنْ يتساهل معها، فلا يبخل عليها بالفتاوى السهلة «المنفتحة» التي تُناسب هواها!

ثم أطرق برأسه، وذكّرني بقول الصالحين:

«لا تُرخِّصوا فتذهب بكم الرُّخص» وماذا تفعل مع ضعاف الإيمان والالتزام، ومَنْ يحمل رواسب المجتمع غير الإسلامي الذي نعيش فيه، والمتأثِّر بالمجتمعات الكافرة؟

* * *

ورأيت فيما يرى النائم، وكأنّي سألته عمَّن ينسب للعبد الصالح أنه «يُحبُّ الفن»...

سألته بخَفَرٍ وحياء... لأنّ نسبة ذلك إليه، لِمَنْ أراد تشريع ما هو راغبٌ في فعله... نسبة ذلك، لا تليق بمسلم ورعٍ أو إنسانٍ عاقل، فضلاً عن عالمٍ... فكيف لو ادُّعِيَ ذلك في حقِّ وليٍّ قائدٍ لأمة الإسلام؟!

* * *

قال العالم الجليل، بعد أن عَلَتْ وجهه سحابةُ غضب ممزوجة بألم الافتراء:

يُحبُّ الموسيقى ويستمع إليها؟!!!

هذا، والله العظيم، كذبٌ وافتراء، لا يجوز السكوت عنه، بل يجب ردُّ هذه الفِرْية والشائعة الخسيسة عن مسلم ورعٍ يحتاط لأمر دينه، فكيف بتاج المسلمين وفخر الموحِّدين؟

فكأنَّ أحداً قال مُبرِّراً تقديمه بهذه الطريقة «إنه مُحبٌّ للموسيقى»، ليظهر للناس أنَّه رجلُ حضارةٍ وانفتاح!

فتابع العالم الجليل:

«ولَعَمْري إنَّ هذا الكلام لا يصدر إلاَّ عمَّنْ لا يثق بنفسه أو دينه، ومَنْ يشعر بالصَّغار والهوان أمام ملَّة الكفر».

ثم قال:

«لِمَ صمُّوا الآذان، وأغلقوا العيون عن آرائه الصريحة عن حرمة الترويج حتى للمحلَّل من هذه الأمور لو افترضناه... فكيف بمجموعه...

هل هناك أخطر على المسلم من أن يتَّبع هواه ويكون أمرُهُ فُرُطاً؟!».

* * *

التفت العالم الجليل إليَّ بقوله:

«إنَّ ما علمتَهُ وما سوف تعلمه يجب إظهاره في هذا الزمان بعد ظهور البِدع والرأي المخترع».

«موقف العبد الصالح لم يخرج عن موقف أهل السَّلَف في أنَّ «الغناء حرام شرعاً ومطلقاً، مع الموسيقى وبدونها، من الرجل كما من المرأة... وهو من المعاصي، ويحرم على المغنِّي

والمستمع. . . أكان مباشرة من المغنِّي أو من الإذاعة أو من شريط التسجيل».

وتابع العالم الجليل:

«حرمةُ الغناء ممَّا قد ثبُتت بالتعبُّد من الشرع، وهي من الثوابت في فقه الشيعة. . . وهي محكومة بالحرمة ووجوب الاجتناب دون الالتفات إلى الآثار النَّفسية والاجتماعية. . . سواء سمعها في البيت وحده أم بحضور الآخرين، وسواء تأثّر بها أم لا».

❊ ❊ ❊

فصلَّيت تبرُّكاً على خير الأنام، وآله الأعلام، لتستمر رُؤْيتي لهذا المنام، فرأيت فيما يرى النائم اليقظان، أنَّ العالم الجليل ينقل عن العبد الصالح قوله:

«فكّرت في أمر الموسيقى بين أمرين:

أ ـ أن تكون محرّمة بكل أصنافها

ب ـ وبين أن يكون بعضُها مباحاً... ولو كانت مصاديقه قليلة.

أما الفرض الثالث، في أن تكون محلَّلة بكل أصنافها، فهذا ما لا ينبغي أن يكون موضع بحث أصلاً... ولم يقل به أحدٌ في تاريخ الأمة.

فاخترت الرأي الثاني، لا لوفرته، بل لاحتمال أن يكون بعضها ممَّا قد لا يتناسب مع مجالس اللَّهْو والطرب، وإن كنت مطمئناً وبحسب الواقع أنَّ ما يُمكن أن يُباح قليل وبشروط معيَّنة، ولا يُشخِّص ذلك إلاَّ مَنْ كان ذا خبرة وتديُّن ويخاف الله تعالى فلا يُترك هذا الأمر لمراهقين وشباب من عامة النَّاس، حيث لا خلفيَّة دينية قويّة لهم.

والمرجع في ذلك ليس المشاعر والإحساسات الشخصية، بل العرف السائد».

* * *

وكأنَّ هاتفاً قال: وماذا عن الموسيقى الكلاسيكية و«العرفانية» و«الكربلائية»؟!

قال العالم الجليل، هادياً إلى سواء السبيل:

«أمّا الموسيقى الكلاسيكية، فكأنَّ حلِّيَّتها من المسلّمات، وهذا أمر عجيب، بينما الميزان «أن لا تكون لهويَّة مطربة تُناسب مجالس اللَّهْو والباطل... بلا فرق بين الكلاسيكية وغيرها»... أمَّا الحديث عن الموسيقى «العرفانية» و«الكربلائية» في هذا الزمن الغريب، فهو مِمَّنْ يريد أن يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً.

فهل للعرفان وكربلاء دخالةٌ في حليّة الموسيقى؟!».

* * *

وتابع العالم الجليل ناقلاً عن العبد الصالح، ما ليس سراً، فهو منشور بين الأنام، ولم يأتِنا في المنام:

«إنَّ الترويج للموسيقى والاهتمام والاشتغال بها يتنافى مع أهداف الحكومة الإسلامية، فلا ينبغي القيام بترويجها ونشرها لا سيَّما في الأوساط التعليميَّة والتربويَّة بين الشباب، إذْ لا صلاح في ذلك.

والتكسُّب بالعزف وصنع آلاته وبتعليمه لرواج الموسيقى لا ينسجم مع أهداف النِّظام الإسلامي، بل يُنافيها».

* * *

ثم رأيت فيما يرى النائم المطمئن وكأنَّ أحداً سأل عمَّا شاع في المدَّة الأخيرة، عندما قامت بعض المدارس والمؤسسات الإسلامية بإجراء عروضٍ راقصةٍ لفتيات صغار على المسرح أمام الملأ، فهل ذلك مقبول؟

فقال العالم الجليل:

«لا ينبغي للبالغين تشجيعهن على الرقص، وكيف كان، فإنَّ ترويج الرقص يتنافى مع أهداف النظام الإسلامي... كذلك إنشاء مراكز التعليم والترويج للرقص».

* * *

ثم في طَيِّ الحديث، كان العالم الجليل يُكرِّر أكثر من مرة، ويُؤكِّد على قاعدة لاح نورها في

حياتي، وأضاءت لي الكثير من الأمور، ولله الحمد وله المِنَّة وهي:

«بعض الأمور، وعلى فَرْض جوازها بذاتها، لكنَّ الترويج لها والدعوة إليها من خلال وسائل الإعلام والمؤسسات والشخصيات قد يُحدث فساداً أو انحرافاً، لأنَّ عامة النّاس ليس عندهم الرادع الإيماني والخلفيَّة الفقهية فيُحدث ذلك فتنة في مجتمع المسلمين... فهناك المحرَّم بذاته، وهناكِ المحرَّم بلحاظ الحيثيّات المحيطة، أو من جهة إفساد الناس ووقوعهم في الفتنة... ومثاله، الإعلام الإسلامي من إذاعة وتلفاز في ترويجه أو عرضه لِما قد يُحدثُ فتنة أو شُبْهة أو تضعيفاً للإيمان... وإنْ كان في نفسه حلالاً دون الحيثيّات المحيطة».

«لذا أحياناً لا ننظر إلى تكليف الشخص كفرد بل نلحظ آثار ذلك على المجتمع، خاصة كالمجتمع اللبناني المتأثِّر بالأفكار والسلوكيات الغربية».

ونقل العالم الجليل عن العبد الصالح قوله:

«في مثل هذه الأمور، لا بُدَّ من التزام الاحتياط».

* * *

ثم لاح في خاطر طالب العلم، كاتب هذه السطور، السؤال عمّا لا ينفك عن الحرام غالباً، ممَّا قد يتخلَّلُها تهتُّك أو رقصٌ أو تمايلٌ أو أمورٌ لا تليق بالمؤمن أو تُسقطه من أعين النّاس...

فابتسم العالم الجليل، وأخذ سجيَّته في الحديث:

«هل مَنْ يقوم بذلك، خاصة من غير المسلمين، هل يُدركون الحكم الشرعي، وحدوده، وقوانين الشرع الإلهي، وخصوصياتنا، وحساسيتنا تجاه الغناء، وموقفنا منه، ومعنى الذنب والحرام والمعصية؟

عليك يا بُني أن تنتبه إلى ما لا ينفك عن الحرام غالباً، وقد يكون باباً للولوج إلى ما لا تُحمد عقباه».

* * *

ثم تابع العالم الجليل كاشفاً نوراً نافعاً، ثبَّته الله وهداه، وجعل في الجنَّة مثواه:

«المشكلة أنّ أكثر المسلمين لا يفتخرون بثقافتهم ويخجلون بها، ويُقلِّدون الآخرين، ويشعرون بالحقارة والخجل بدينهم. . .

رُبَّما يُخْطىء القيِّمون على وسائل الإعلام الإسلامية، لتغرُّبهم أو ضعف إِيمانهم أو قصورهم. . .

لذا يجب أن يُشرف على الإذاعة والتلفزيون أهلُ عقيدة صلبة وقوية، لايخجلون ولا يستحون ولا يتأثَّرون بالأفكار الغربية.

ما دمنا نخاف من كلمة رجعي ومتخلِّف ومتحجِّر لا يُمكن أن نتقدَّم، لأنَّنا نحمل عُقْدة في أنفسنا ولا نثق بها، ونريد أن نُثْبت للآخرين أنَّنا مثلهم، وأنَّنا مثقَّفون وأهلُ حضارة، فنقلِّدُهم في مصطلحاتهم ومفاهيمهم ونظريَّاتهم. . . ونخاف

أن نجهر بأحكام الإسلام لأنَّها قاسية ولا يقبلها الآخرون!

على كل حال، نحن أصحاب عقيدة وشريعة شئنا أم أبَيْنا. . .

في كثير من الأمور العامة، في الإعلام، والنشاطات المفتوحة، لا مفرَّ من الاحتياط حفاظاً على المجتمع».

وتابع السيد الجليل:

«في التلفزيون والإذاعة. . . علينا أن نُفرِّق بين تكليفنا كأفراد، وعن مسؤوليَّتنا عن المجتمع الذي نعيش في وسطه ونُؤثِّر فيه.

أحياناً نُخطِّط لفرد، وأحياناً نُخطِّط لمجتمع».

وتابع في «المنام»:

«إنَّ التورُّط في الحلال قد يؤدِّي في أحيان كثيرة إلى الحرام، فكيف التورُّط بالشُّبهة والملتبِسات؟».

* * *

ثم طرح العالم الجليل جملة تساؤلات، تستبطن أجوبة لِمَنْ أراد الهداية وصراط الله العزيز الحكيم:

«هل الناس العاديون، خاصة الشباب، قادرون على تشخيص ما يَحلُّ من الموسيقى بكل تجرُّد؟!

هل يليق استعمال الموسيقى في بعض المجالس والتجمّعات والمسيرات الدينيّة... تماماً كما أنَّ التَّنوُّق والسُّفْرة لا يليقان بزائر الحسين عليه السلام؟!

هل جواز أمرٍ يعني إدخاله في نشاطنا وثقافتنا وتربية أجيالنا ووسائل إعلامنا ومدارسنا؟!

هل تقليد الغرب دليل حضارة وتطوُّر حتى نُتَّهم بالعصبيّة والتخلُّف».

ونقل العالم الجليل عن العبد الصالح عندما سمع مَنْ يفتري عنه أنَّه يستمع للموسيقى:

«هذا كذبٌ وافتراء، والله، إنِّي لا أستمع للموسيقى أبداً، ولا يسمعها أحدٌ من أولادي، ولا في بيتي... حتى أنِّي أُخفض صوت التلفاز أو الإذاعة عند الموسيقى التي توضع كمقدِّمة للأخبار.

أنا لا أستمع للموسيقى، هذه تُهمة باطلة، وهذا الموقف منِّي ليس جديداً».

* * *